العدد
25

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

قراءة في كتاب

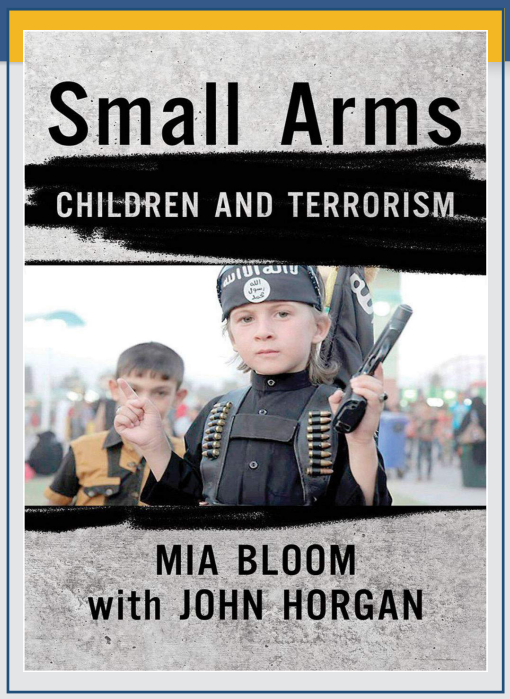

أسلحة صغيرة
الأطفال والإرهاب

للكاتبَين ميا بلوم، وجون هورغان

قراءة في كتاب

إصدار شهري يصدر عن التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

المشرف العام

اللواء الطيار الركن محمد بن سعيد المغيدي

الأمين العام للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب / المكلف

رئيس التحرير

عاشور بن إبراهيم الجهني

مدير إدارة الدراسات والبحوث

التحرير والتصميم والإخراج

توق الإعلامية للأبحاث

البريد الإلكتروني: info@taoqresearch.org

هاتف: 966 114890124+

مايو 2021

25

قراءة في كتاب

أسلحة صغيرة

الأطفال والإرهاب

يقدِّم **كتاب** (**أسلحة صغيرة: الأطفال والإرهاب**) رؤيةً تأمُّلية شاملة للأطفال المُنضَوين تحت راية الجماعات الإرهابية، ويُسهم في إيضاح قضية تجنيد الأطفال في المنظمات المتطرِّفة العنيفة؛ إذ اجتهد مؤلِّفا الكتاب في عرض مجموعةٍ من دراسات الحالة، مع العناية بحالة تنظيم داعش الإرهابي واستعراض القضايا الشائكة المرتبطة بكلٍّ من الأطفال والإرهاب، مع مراجعة عميقة للبحوث السابقة في هذا المجال. واستعرضا أيضًا المصادر الأولية الموثَّقة بالصور، وناقشا الآثار المترتِّبة على النتائج المستخلَصة.

نظرة كلّية

إن تسليط الضوء على تنظيم داعش الإرهابي، والمقارنة بينه وبين المنظمات الإرهابية الأخرى يمنح القرَّاء فهمًا أوليًا لوسائل تجنيد الأطفال لديها، ويُظهر جليًا الفوارق بينها وبين الجماعات المتطرفة الأخرى على مرِّ الزمن. ولعلَّ تعدُّدَ دراسات الحالة المتعلِّقة بهذه القضية يُسهم في صياغة تحقيقٍ شامل بشأن الإرهاب والأطفال، مرفَقٍ بوقائعَ متعلِّقة بفكر المنظمات الإرهابية.

وقد حلَّل المؤلِّفان تحليلًا دقيقًا أساليبَ التجنيد والإكراه التي يُربَّى عليها الأطفال في كنَف داعش، مشدِّدَين على ضرورة إعداد برامجَ مُجدية لإعادة تأهيلهم ودمجهم، بما يلبِّي احتياجاتهم الخاصَّة بأعمارهم، وبما يُراعي الظروف الاستثنائية التي ترعرعوا فيها؛ بغيةَ إعادة إحياء إحساسهم بذواتهم.

وقد وصفت بعضُ التقارير الأطفال المجنَّدين لدى داعش بالقنابل الموقوتة، ويَعيبُ هذا الوصفَ العُدواني تجاهلُه حقيقةَ تلقين المتطرفين عقائدَهم للأطفال، وسوء الإدارة والتحليلات المبنية على مجموعة وقائع. ويدحضُ الكتابُ المفاهيمَ الخاطئة غيرَ الموثَّقة بالبيانات التجريبية الخاصَّة بموضوع الأطفال والإرهاب، ويقدِّم دراسةً جادَّة للقضايا الحساسة.

مع أن النوع الاجتماعي ليس محورَ الكتاب، يعرض المؤلِّفان عدَّة دراسات تتعلَّق بالديناميات الجنسانية وعَلاقتها بالأطفال والتطرف العنيف، ويشمَلُ ذلك مساعيَ تنظيم داعش تجنيدَ الأطفال، وإقناعهم بالانضمام إلى ما يسمَّى دولة الخلافة. ويؤكِّد هذا الإثراء ضرورةَ التطرُّق إلى التحليلات الجنسانية عند الخوض في قضية الأطفال والإرهاب، وهي عواملُ تجب ملاحظتها بخصوص التدابير الناجحة المتَّخَذة لإعادة تأهيل الأطفال وإعادة دمجهم في المجتمعات.

يتألَّف الكتاب من **ثمانية فصول**، يتناول كلٌّ منها موضوعًا رئيسًا واحدًا، مع شيء من التداخل في موضوعاتها. ولعل تشابكَ هذه الموضوعات المبنية على نهج متعدِّد التخصُّصات يُسهم في إعداد دراسة غنية وشاملة. وتقدِّم هذه المراجعة موجزًا لكلِّ فصل من فصول الكتاب الثمانية، ثم تعليقًا عامًّا على المحتوى وأهدافه، وعلى جدوى البحوث في مجال إعادة الدمج والتوطين، والموضوعات الشاملة والأفكار المنتقَدة، وأثر العناية بأمثلة دراسة حالة تتعلَّق بتنظيم داعش الإرهابي، وسُبل سدِّ الفجَوات المعرفية في هذا المجال.

فصول الكتاب

أما **الفصل الأول** (ماهيَّة الطفل) فيستعرض المفاهيمَ المختلفة لمرحلتَي الطفولة والبلوغ من وجهة نظر ثقافية وقانونية، ويعرض للشبكات الاجتماعية المستخدَمة في تجنيد الأطفال، وعوامل جذب الأطفال إلى الجماعات الإرهابية.

وأما **الفصل الثاني** (الأطفال المجنَّدون، والأطفال المنْضَوُون في الجماعات الإرهابية) فيحدِّد الفوارقَ بين الأطفال الجنود والأطفال المنضوين في الجماعات الإرهابية، والوظائف والمهامَّ التي يمكن للأطفال القيامُ بها، مع العناية الخاصَّة بالعمليات والظروف المحيطة بتجنيدهم. ويقدِّم دراسةَ حالة عميقةً لعملية التنشئة الاجتماعية للأطفال في تنظيم داعش.

وأما **الفصل الثالث** (تعلُّم الكراهية: التنشئة الاجتماعية والتأثيرات الثقافية) فيُعنى بالموادِّ التعليمية والأساليب المستخدَمة لتلقين الأطفال. ويتضمَّن أمثلةً لمحتوى التطرف في كتب الأطفال المدرسية، وفي دروس الفصول المدرسية، وذلك باعتماد مصادرَ أولية، مثل الكتب المدرسية التي أصدرها تنظيم داعش الإرهابي.

وأما **الفصل الرابع** (طرائق الانخراط: الإكراه) فيهتمُّ بالعوامل الاجتماعية والنفسية لتجنيد الأطفال، ويُوضِح كيف تقوم الجماعاتُ الإرهابية بقهر العائلات والعبث بها، فيُجري مقارنةً بين الاستمالة الجنسية الافتراسية وتجنيد الإرهابيين، ثم يستعرض خطوطًا عامَّة لأساليب الوقاية.

وأما **الفصل الخامس** (طرائق الانخراط: الإجماع وثقافات الشهادة) فيدرس أثرَ روايات الشهادة والاستشهاد في سبيل الله، وثقافتها في الأطفال الذين ينشؤون في هذه البيئات. ويتضمَّن حالةَ جماعات أخرى، مما يؤكِّد أن هذه الظاهرةَ لا تقتصر على تيَّار واحد أو عقيدة فكرية واحدة.

وأما **الفصل السادس** (الخِبرات والتدريب المِهَني زمن الإرهاب) فيتحدَّث عن بعض الموضوعات المطروحة في الفصل الثاني، مع التوسُّع فيها لتشملَ ظروف الأطفال بعد انخراطهم في الجماعات المتطرفة العنيفة. ويستعرض دراسةَ حالة التدريب المهني في داعش، والعواملَ النفسية والاجتماعية والقَسرية لتكوين الهُويَّة التجنيدية للأطفال المجنَّدين حديثًا.

وأما **الفصل السابع** (ترك الإرهاب)، و**الفصل الثامن** (النهاية أم بدايةٌ جديدة؟) فيُوردان سُبلَ إعادة تأهيل الأطفال ودمجهم في المجتمع بعد ما لُقِّنوه من كراهية وعُنف. ويقدِّمان مقترحات سياسية تتعلَّق بقضية العائدين من المخيَّمات في سوريا، فإن كثيرًا منهم بلا جنسية؛ لكون شهادات ميلادهم صادرةً عن تنظيم داعش الإرهابي.

تعريف الطفولة

في **الفصل الأول** من الكتاب يناقش المؤلِّفان مشكلةَ وضع فاصل عمري بين المرحلتين (طفل) و(بالغ)، والمفاهيمَ المغلوطة عن ارتباط محاسبة الفرد على أفعاله بالعُمر فقط. ويبيِّنان مدى اختلاف النظرة إلى مفهومي الطفولة والرُّشد بين المجتمعات باختلاف ثقافاتها، ففي كثير من الأحيان يتحدَّد هذا الأمر تبعًا للتغيُّرات الجسدية، وتأثير وجهات النظر عن الجنس في مقاييس مرحلة البلوغ، وعدم تسجيل المولود حين ولادته؛ مما يصعِّب معرفةَ عمره الحقيقي. ووَفقًا لتعريف الطفولة في الأنظمة القانونية المختلفة، يذكر المؤلفان أن الكتاب يصنِّف الأطفال وَفقًا لفئتين: الأولى هم الأطفال في سنِّ الخامسة عشرة وما دون، والثانية هم الأطفال في سن السادسة عشرة وما فوق، وذلك اعتمادًا على نتائج أبحاثهما في مفهوم النُّضج في مختلِف الثقافات.

ثم يبحث المؤلِّفان في أسباب استخدام الجماعات الإرهابية للأطفال، ومن ذلك تكيُّفهم مع حالات تدهور السلطة، وقدرتهم على استقطاب أقرانهم، واستغلال عدم الشكِّ بهم عند تنفيذهم مهمَّةً ما، وعملهم في مجال الدعاية السياسية. ثم يخوض الفصل في موضوع شبكات التجنيد الاجتماعية، والمخصَّصة لاستقطاب الأطفال وضمِّهم إلى هذه المنظمات.

ومن الموضوعات المثيرة للاهتمام في هذا الصدد ادِّعاءُ بعض الجماعات المسلَّحة عدمَ تجنيد الأشخاص الذين هم دون سنِّ 18 عامًا أو دون 16 عامًا، كما في حالة تنظيم داعش، وذلك وَفقًا لادِّعاء العدناني. ولكنَّ الأدلَّة تشير إلى خلاف ذلك، فمن صور النفاق لديهم أنه على الرغم من فهمهم المتأصِّل لحُرمة استغلال الأطفال بهذه الطريقة، فإنهم يحقِّقون من استخدامهم مكاسبَ إستراتيجية ومنافع عملية. ويورد المؤلفان حالاتٍ كثيرةً خدعَت فيها طالبان الأطفال، ووجَّهَتهم إلى تنفيذ هجَمات، مُخبرةً إياهم أن التفجير سيُمطرهم طعامًا وزهورًا.

ثم تناول الفصل بشمول عواملَ (الدفع) و(الجذب) وراء انخراط الأفراد في الأنشطة الإرهابية، ثم قدَّم طرحًا تفصيليًّا لوسائل امتداد هذه العوامل لتشملَ الأطفال. وأولى المؤلفان

اهتمامًا خاصًا لتحديد جوانب التلقين النفسي لعملية التجنيد، مستشهدَين بتنظيم داعش الإرهابي بوصفه حالةً فريدة؛ إذ يُستخدَم فيها الأطفالُ لحمل البالغين الذين لم يشاركوا على الخجل من أنفسهم.

الأطفال المجنَّدون والمُنضَوون

هناك تداخلٌ بين مفهومَي الأطفال الجنود والأطفال المنضمِّين إلى المنظمات الإرهابية، ويُعنى **الفصل الثاني** بتحديد الاختلافات بين هاتين الفئتين، فبعد استعراض تاريخي لوضع الأطفال المجنَّدين في الحروب والنزاعات في أرجاء العالم، يحدِّد المؤلفان أهمَّ الفروق بين الأطفال الجنود والأطفال المُنضوين في الجماعات الإرهابية (عمليات التجنيد الصغيرة)؛ كالمستوى التعليمي، وأثر التعليم؛ إذ إن الأطفال المجنَّدين غالبًا لا يتلقَّون أي تعليم من أي نوع (حتى التلقين العقائدي)، في حين يتلقَّى الأطفال المنضوون في المنظمات الإرهابية مجموعةً من الدورات التدريبية لضمان تلقينهم الفكري.

وتتناول دراسةُ الحالة الأولية لهذا الفصل (التنشئة الاجتماعية عند داعش)، وتصنِّف الأطفالَ في تنظيم داعش وَفقًا لنشأتهم في خمسة أصناف، وهم:

1. أطفال المقاتلين المحلِّيين.
2. أطفال المقاتلين الأجانب.
3. الأطفال المحلِّيين المُتخلَّى عنهم.
4. الأطفال المُنتَزعون قَسرًا من عائلاتهم.
5. الأطفال المتطوِّعون.

ويشرح المؤلفان غايةَ تجنيد كلِّ فئة من هذه الفئات، من تجنيد أطفال محلِّيين آخرين، إلى الترويج لتنظيم داعش باستخدام الأطفال أدواتِ دعايةٍ في المقاطع المصوَّرة. ويعتمد استخدامُ كلِّ فئة من هذه الفئات على العمر والجنسية والجنس؛ فكان ظهورُ أطفال المقاتلين الأجانب في الدعايات المصوَّرة، وإيكال مهامَّ أصعب للأطفال الأكبر سنًّا، وتحديدُ نوع الأنشطة التي يمكن للفتيات أو الفتيان المشاركة فيها أو عدم المشاركة. وتتنوَّع المشاركة فيما بين الانخراط في المعارك، والمشاركة غير الرسمية (الوظائف الداعمة). وذكر المؤلفان واجباتٍ أخرى قد يقوم بها الأطفال؛ كالتجسُّس، والتجنيد، والمراسلة، والاستكشاف.

ثم يناقش الفصلُ باستفاضة المجالات الخمسة التي حدَّدها المؤلفان للتمييز بين مفهومَي الأطفال المجنَّدين والأطفال في الجماعات الإرهابية، وهذه المجالات هي: وظيفة الوالدين،

والسُّلطة، وتعاطي المخدِّرات، والاعتداءات، ومدى توافر التعليم، ووظائف الأطفال في الجماعة، ومدى مشاركة الفتيات في المعارك.

التلقين الفكري

قد يعيد مفهومُ التعلُّم إلى الذهن الارتباطات الإيجابية، وزيادةَ فرص النجاح ومساراته باكتساب العلوم والمعارف. أما الجماعاتُ الإرهابية كتنظيم داعش، فإن البرامج التعليمية تُستخدَم لأغراض أخرى، فهي تُعِدُّ مناهجَ لتلقين الطلاب الصغار خطابَ التطرف وموادَّه، ليستوعبوها حرفيًا. ويوضِحُ المؤلفان في هذا **الفصل الثالث** أنه في حالة تنظيم داعش الإرهابي فإن المحتوى التعليمي يهتمُّ بالتطرف والعنف في جميع أركان الخُطة التدريسية؛ ففي الرياضيات على سبيل المثال: يتعلَّم الأطفال العدَّ باستخدام صور أسلحة الحروب، فالهدفُ هو طبع العنف في أذهانهم، وإزالة الحساسية تجاهه. وعلى الرغم من أن وجود هذا المحتوى في الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية أمرٌ صادم، فإن المؤلفَين يذكِّران القرَّاء بالكتب المدرسية التي أصدرتها الوكالةُ الأمريكية للتنمية الدَّولية في إبَّان الحرب الباردة في أفغانستان، وقد تضمَّنت رسائلَ متطرفة تشجع المقاومةَ المحلِّية للروس السوفييت. أما البالغون المنخرطون في الجماعات الإرهابية فتشير الأبحاث إلى أنهم على مستويات أعلى من التعليم والثروة من نظرائهم، وهذا الأمر لا ينطبق على الأطفال؛ إذ يستشهد المؤلفان ببحث "سابون" عن طالبان، الذي انتهى إلى أن "تجنيد الأطفال والمراهقين يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحصار الاقتصادي" في باكستان.

الاستغلال والإكراه

تناول هذا **الفصل الرابع** أوجُهَ التشابه بين أساليب الاستمالة المستخدَمة في الاستغلال الجنسي للأطفال، وتجنيد الجماعات الإرهابية لهم. وتتضمَّن التداخلاتُ الرئيسة بين هاتين العمليتين إزالةَ التحسُّس من العنف؛ بهدف جعل ما هو غيرُ طبيعي طبيعيًا، وعزل الفرد عن محيطه الاجتماعي كالعائلة والأصدقاء، والتحريض والاستمالة في العالمَين الواقعي والافتراضي، وبناء الوفاق، وفتح قنوات اتصال مع المستهدَفين في الإنترنت. ويستشهد المؤلفان بنموذج "دافيد فينكلهر" بشأن "الشروط الأربعة السابقة المشتركة لاستغلال الأطفال جنسيًا"؛ تلك التي تساعد على فهم كيفية استهداف المتطرفين العنيفين للأطفال: الدافع، والرغبة في إساءة معاملة الأطفال واستغلالهم، والتغلُّب على الموانع الداخلية والخارجية، والتغلُّب على ممانعة المستهدَف للعمل. وإن الإرهابيين يختلفون عن المتحرِّشين بالأطفال بأنهم لا يحاولون إخفاء أهدافهم.

وباعتماد داعش حالةً للدراسة يسلط النصُّ الضوءَ على كيفية مراعاة التنظيم الإرهابي للعمر والجنس والجنسية عند مطابقة القائمين على التجنيد مع مستهدَفيهم، فقد يكون لديهم مرجعية مشتركة أو متشابهة.

ثم يعرِّج الفصل على تصنيف أربعة أنواع من الحوافز التي يستخدمها القائمون على التجنيد لاستغلال الأطفال، وهي: المادِّية (النقدية، والهدايا، وغير ذلك)، والأخلاقية (السعي لزرع الثقة بالنفس، والدِّين، وغير ذلك)، والقمعية، والنفسية. واستعرض المؤلفان حالات دراسة لكلٍّ من تنظيم داعش الإرهابي، وجماعة نمور تحرير التاميل- إيلام، وطالبان باكستان؛ لإثبات الجوانب النفسية لوسائل التشجيع.

ثم اقترح المؤلفان سُبلًا للوقاية، وهي: معرفة العناصر الشخصية للتجنيد، وتثقيف الجمهور بها، والعناية بإزالة التحسُّس، وزيادة كُلفة المشاركة مع تقليل الفائدة. والخُلاصة الرئيسة في هذا الفصل هي أن البحوث والموادَّ المتصلة بالاعتداء الجنسي على الأطفال تقدِّم رؤًى مهمَّة تساعد على فهم آلية التجنيد الإرهابي للأطفال واستغلالهم. ويُهيِّئ اتباع نهج متعدِّد التخصُّصات، وتعديل نماذج الأبحاث الخاصة بالاستغلال الجنسي للأطفال لتجنيد الإرهابيين، إطارًا يمكن به فهمُ الجوانب النفسية والاجتماعية للاستمالة التي يستخدمها القائمون على التجنيد لتحديد المستهدَفين واستجلابهم.

مفهوم الشهادة

بعد مراجعة شاملة لتاريخ الشهادة (الاستشهاد) وصلتُها بالعقائد المختلفة (كالمسيحية والبوذية)، إضافة إلى صلتها بالمنظمات المتطرفة العنيفة (كتنظيم داعش، وجماعة نمور تحرير التاميل- إيلام، والجيش الجمهوري الإيرلندي)، يذكِّر المؤلفان القرَّاء بتقاليد الشهادة المتنوِّعة في السياق الاجتماعي والثقافي، مستشهدَين بالتمييز الذي قدَّمه "غامبيتا" بين العمل الاستشهادي والعمل الإرهابي. ففي الحالة الأولى "يقتل الفردُ نفسه فقط، في نوعٍ من الاحتجاج"، وفي الحالة الثانية "يقتل الفردُ نفسه والآخرين، في عملٍ إرهابي".

وعرض هذا **الفصل الخامس** كثيرًا من دراسات الحالة لأطفال زرع المتطرفون العنيفون "ثقافة الاستشهاد" في عقولهم ونفوسهم، وهي قائمة على التقديس الأعمى للحياة الآخرة، وتقديم مقاطعَ "فيديو" تبيِّن استعدادَ (الشهيد) لتنفيذ العملية (الاستشهادية)، والاحتفال بالأطفال (الشهداء)، وإحياء ذكرى الهجوم و(شهداء) العمليات بعد تنفيذها. ويتضمَّن استهدافُ الأطفال دمجَ التعاليم العنيفة بالفصول الدينية، ووسائل الإعلام، والتعليم والمجتمع.

ثم يصف المؤلفان بعضَ المقاطع المصوَّرة لتنظيم داعش؛ إذ يُجري (أشبال الخلافة) القرعةَ فيما بينهم لتحديد الشهيد التالي! فيتلقَّى الفرد المختار دعمًا إيجابيًّا من أقرانه، ويُبَثُّ الحدث على أنه فوز مبهج واحتفال عظيم. ويشرح المؤلفان

أن هذا النوعَ من العنف – بحسَب رأي علم نفس الطفل – يثير الحماسة، ويؤدِّي إلى اندفاع الأدرينالين، ولا يملك الأطفالُ الحرية للموافقة على المشاركة في مثل هذه العمليات، ولكنَّ الجماعات تعطي الانطباع أنهم على أُهبة الاستعداد دومًا لها.

الخبرات والتدريب

استعرض الكتابُ فيما سبق شبكات التجنيد، أما في هذا **الفصل السادس** فاعتنى بالديناميات (لماذا؟) و(كيف؟). وهو يحدِّد أولًا ما يتضمَّنه الانخراط في الإرهاب، فإلى جانب الأعمال العنيفة، تتضمَّن المنظماتُ الإرهابية وظائفَ غير عنيفة، كوظائف المموِّلين والدعاة والقادة والقائمين على التجنيد، وأشكال أخرى من وظائف الدعم الخِدمي "اللوجستي". إن طبيعة العمل الديناميكية للبالغين والأطفال تعني أنهم قادرون على أداء كثير من الوظائف؛ أما الأطفالُ فإنهم بمظاهرهم وأعمارهم التي تجعلهم غيرَ قابلين للكشف يُعَدُّون عناصرَ مثاليين للقيام بأنشطة محدَّدة.

وإلى جانب العمر، يتحدَّث المؤلفان أيضًا عن ديناميات النوع الاجتماعي، ويطرحان جماعةَ بوكو حرام نموذجًا لدراسة الحالة؛ إذ تُختار الفتيات الصغيرات للقيام بأعمال التفجير الانتحاري. ويسلِّط الفصل الضوءَ على كيفية تأثير كلٍّ من الجنس والعمر في النتائج، مع الإشارة إلى أن أولئك القادرين على إنجاب الأطفال لا تكلِّفهم الجماعة أعمالَ تفجير انتحارية، ليكونوا مربِّين للجيل اللاحق. ثم يناقش الفصل "كيف يتعلَّم الأطفال الإرهاب"، وبعد مراجعة أدبيات علم نفس الجماعة وصلته بعمليات التعلُّم، يحدِّد المؤلفان "الموضوعات الرئيسة" المشتركة بين المنظمات والطوائف الإرهابية المعاصرة، وهي: عوالمُ مشحونة بجنون الارتياب، ورؤية متشائمة للعالم، وتوجُّه نحو جيل الشباب مع الرقابة الصارمة. ويحدِّد النصُّ القواسمَ المشتركة لسُبل تطوير هذه الجماعات أعضاء ملتزمين داخليًا من صفوف جيل الشباب، بعلامات الهُويَّة والإكراه والعنف.

ثم يُختتَم الفصل بدراسة حالة عن "التدريب المهني"، كاشفًا وسائلَ داعش في الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات؛ بالمكافأة والثناء والتفضيل، والتوبيخ والتهديد والتعلُّم بالتكرار، وصور أخرى من العنف في إطار أوسع من التنشئة الاجتماعية للأطفال، وإعادة صياغة شخصياتهم، تتضمَّن المراحل الستَّ التي وضعها "هورغان" للتنشئة الاجتماعية للأطفال في تنظيم داعش الإرهابي، مُرفقةً بمساعدة بيانية، مع ملخَّص لهذه العملية. وتلك المراحلُ هي: الإغواء، والتعليم، والاختيار، والإخضاع، والتخصُّص، والتمركز. ولا يهدِفُ الملخص إلى إنشاء مسار اجتماعي محدَّد يتَّبع خطوات وَفقَ ترتيب معيَّن، ولكنَّه يصف بدلًا من ذلك العناصر العامَّة لعملية التنشئة الاجتماعية التي يواجهها الأطفال. ويلخِّص المؤلفان النِّقاطَ التي يمكن بدءُ إعداد أبحاث أخرى عنها، وأهمها تحديدُ الجوانب غير المعروفة المتبقية، كنوع التدريب الذي يتلقَّاه الأطفال، وطبيعة اشتراك الأطفال في ساحة المعركة.

ترك الإرهاب

إن التمييز بين الضحية والجلَّاد ليس بالأمر السهل دومًا، وليس العمر وحدَه ما يحدِّد مكان الفرد بين الحالتين؛ إذ يمكن لكلٍّ من

البالغين والأطفال أن يشغلوا كلا المكانين في وقت واحد. ولكن يرى المؤلفان أن الأطفال ضحية دومًا، حتى وإن شاركوا بالأفعال الضارَّة كالجناة، فهم مستهدَفون ومسخَّرون لإثارة العنف خدمةً لأشخاص آخرين.

إن أسبابَ انسحاب البالغين من الجماعات الإرهابية تختلفُ باختلاف ظروف كلِّ فرد، أما الأطفالُ فأسبابُ انسحابهم محدودة. ويذكر المؤلفان هنا عدَّة ثغرات معرفية في ثلاثة أسئلة: ما الآثارُ النفسية في الأطفال الذين شاركوا في أعمال الإرهاب؟ وما الآثارُ طويلة الأمد لانخراط الأطفال في العنف؟ وما مستوى التشدُّد الذي وصل إليه الأطفال؟

ويسعى **الفصل السابع** إلى تقديم رؤًى في الإجابة عن السؤالين الأوَّلَين، ويقرُّ المؤلفان بعدم وجود إجابات دقيقة عن السؤال الثالث. ويذكران أن القربَ من الصراع هو المتغيِّر الأساسي في صياغة تجارِب الأطفال جسديًا ونفسيًا، سواءٌ كان الطفل مشاركًا، أو عضوًا في منظمة إرهابية، أو يعيش في منطقة نزاع.

وسعيًا إلى تسهيل إعادة دمج الأطفال المجنَّدين، يستعرض الفصل عقودًا من العمل على هذا الأمر، مؤكِّدًا أن ما كان ناجحًا ومُجديًا سابقًا قد لا يكون ناجحًا ولا مُجديًا مع الأطفال الذين جُنِّدوا في تنظيم داعش. وما يزيد الأمر تعقيدًا وَفقًا للمؤلفَين هو أن البلدان عمومًا غير جاهزة للاستيعاب الفعلي لعدد الأطفال العائدين، ويؤكِّد التحليل الختامي الحاجة الماسَّة إلى مزيد من البحث والتطوير للبرامج؛ لتكونَ جاهزةً لاستقبال العائدين.

اقتراحات السياسة

يتابع المؤلفان نقاشَهما بشأن إعادة التأهيل والدمج، مع العناية بمقترَحات السياسة فيما يتعلَّق بالأطفال العائدين من تنظيم داعش الإرهابي. واعتمادًا على موجز لقرارات الأمم المتحدة المتعلِّقة بخمس طرائقَ عملية تمكِّن الشباب من الإسهام البنَّاء في إرساء الاستقرار والسلام في بلدانهم، يقدِّم النصُّ رؤًى عمَّا يجب أخذُه بالحُسبان مما يتعلَّق بالأطفال القادمين من أراضي التنظيم الإرهابي. ويقترح المؤلفان خُطوةً أولى هي النظر بعناية في نطاق التأثيرات، ولا سيَّما الطبيعةِ النفسية، التي قد يتعرَّض لها الأطفال على يد تنظيم داعش الإرهابي. والأهمُّ أن هذا **الفصل الثامن** والأخير يوضِحُ أن الأطفال الذين عاشوا في كنَف التنظيم الإرهابي ستكون لديهم مجموعة من التجارِب الفريدة، مقارنةً بأترابهم من الأطفال المنخرطين في منظمات متطرفة عنيفة أخرى، والأطفال اللاجئين الذين عانَوا أيضًا جرَّاء ويلات الحرب.

إن نماذج إعادة الدمج المطوَّرة في أعقاب النزاعات السابقة مفيدةٌ حاليًا، ولكنَّ كتاب (أسلحة صغيرة) يوضِّح ضرورةَ فهم الظروف الاستثنائية التي يمرُّ بها الأطفال العائدون من تنظيم داعش، ولا سيَّما مشكلة فِقدان الجنسية لأبناء المقاتلين الأجانب، الذين لديهم سجلَّات ووثائقُ ميلاد صادرة عن التنظيم الإرهابي. وقد يواجه الأطفالُ وصمة عار لارتباطهم بداعش؛ مما يمثِّل عقبةً أخرى أمام إعادة قَبولهم في المجتمع.

ويكشف الفصل حقيقةَ ضبابية المشهد، وأن الوقت وحدَه هو الذي سيحدِّد مدى نجاح برامج إعادة دمج الأطفال العائدين وجَدواها، وهو يؤكِّد الحاجة الملحَّة إلى أن تلبِّيَ الحكوماتُ الاحتياجات الزائدة باطِّراد للعائدين إلى بلدانهم الأصلية. ثم يُختَم الفصل بثمانية إجراءات عملية يمكن اتخاذُها لمنع العودة إلى العنف:

1. مراعاة الاحتياجات المحلِّية، ومعالجة الظروف الخاصَّة بالمجتمع المحلِّي.
2. ضرورة أن تُراعيَ برامج إعادة التأهيل والدمج النوعَ الاجتماعي.
3. استخدام سُبل المعالجة المتعدِّدة التخصُّصات. (على سبيل المثال: تلك التي استُخدمت في برامج دمج أفرادٍ من العصابات وأفرادٍ طائفيين).
4. ضمان الشفافية والسياسات المتَّسقة.
5. إنشاء المنظمات غير الحكومية ودعمها، وتعزيز المعنيين المستعدِّين لتقديم الخِدْمات الاجتماعية.
6. الانخراط مع أسَر الطفل العائد ومجتمعه.
7. تضمين الحوارين العَلماني والدِّيني، ومعالجة الطبيعة الخاطئة للروايات المتطرفة.
8. لا يمكن استخدام العَلمنة أو التغريب مقياسًا لإزالة التطرف.
9. الاستثمار في الاقتصادات المحلِّية، وفي البلدان الخارجة حديثًا من الصراعات.

الخُلاصة

يشتمل كتابُ (**أسلحة صغيرة**) على دراسةٍ شاملة ومتعدِّدة الأوجُه لتجنيد الأطفال، وإشراكهم في الجماعات المتطرفة العنيفة، ولا سيَّما تنظيم داعش. وتطرَّق المؤلفان إلى مجموعة شتَّى من المنظمات الإرهابية مثل: نمور تحرير التاميل- إيلام، وبوكو حرام، وطالبان، والقاعدة، والقوات المسلَّحة الثورية لكولومبيا، والنازيين الجدُد، والمقاتلين الماويين، والجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقَّت، ومجموعة بادر ماينهوف. أما الدراساتُ العميقة الخاصَّة بتنظيم داعش فتهتمُّ بكيفية اختلافها عن غيرها من الجماعات

ذات الطبيعة الفكرية المماثلة؛ إذ إن حالة تنظيم داعش الإرهابي تكشف عن الحاجة الزائدة والملحَّة إلى أن تقومَ الدول بوضع برامجَ قادرة على إعادة دمج القاصرين عند عودتهم. ووَفقًا للمؤلفَين فإن مبادرات كهذه يجب أن تتخذَ نهجًا متعدِّدَ التخصُّصات يلبِّي مختلِفَ الاحتياجات الاجتماعية والنفسية، ووقائعَ الحياة اليومية؛ وذلك لإعادة التكيُّف مع حياة جديدة بلا عنف.

ويورد الكتاب في الفصل الثاني العواملَ التي تميِّز الأطفالَ المجنَّدين من الأطفال المُنضَوين في الجماعات الإرهابية، مع إيراد عددٍ من دراسات حالة بشأن الأطفال المجنَّدين. وعلى الرغم من أهمية هذا الفصل في الوصول إلى فهم أعمقَ للموضوع، تؤكِّد دراسات الحالة عن الأطفال المجنَّدين الواردة في أقسام أخرى من الكتاب التفاوتَ في مدى الاستجابة للصدَمات والتأثيرات النفسية للعنف. وكان من الأفضل تضمينُ مسألة التنشئة الاجتماعية للأطفال في كنَف تنظيم داعش الإرهابي، وعَلاقة الأطفال بالبالغين ضمن المنظمات الإرهابية، في فصل آخرَ من الكتاب على حِدة؛ وذلك لتجنُّب الخروج كثيرًا عن الموضوع الأساسي الذي يناقشه الفصل.

وكان من الممكن أيضًا تقديم دراسة حالة بعُمق فيما يتعلَّق بالتجنيد في منظمة تستخدم الأطفال المجنَّدين، مما قد يوفِّر أساسًا مرجعيًا للمقارنة المباشرة ومقارنة مجموعة من دراسات الحالة المختارة من كلتا الفئتين، التي من شأنها أن تجعلَ نموذج تنظيم داعش أكثرَ صلة بعنوان الفصل. فإن عنوانًا على غِرار (فتيات في مهمَّات قتالية) أكثرُ ملاءمة للفصل السادس الذي يناقش "مسارات مختلفة للإرهاب" فضلًا عن فرصة تحليل التجارِب الجنسانية لدى تنظيم داعش.

إن أحدَ أهم جوانب الكتاب هو ذلك الجانبُ الذي يتحدَّث عن الفروق الدقيقة بين الطفولة والرُّشد، والضحية والجاني، والمجنِّد والمجنَّد؛ إذ إن الحدَّ الفاصل بين كلِّ زوج من الأزواج الثلاثة غيرُ واضح المعالم.

ويبيِّن المؤلفان طرائقَ استغلال الجماعات الإرهابية للأطفال؛ بتوضيح الحدود المبهَمة بين الأزواج المذكورة آنفًا. وهناك جوانبُ مهمة أخرى كالمناقشات عن التأثير النفسي للعنف في الأطفال، وتفاوت مستويات الصدَمات التي قد يتعرَّض لها الفردُ في المجموعة اعتمادًا على تجارِبه الفردية، والتجمُّعات الإيجابية لمجموعاتهم السابقة التي قد تكوَّن بعد حلِّ جماعة ما، والعبث النفسي للقائمين على التجنيد، وديناميات الإكراه وأوجُه التشابه بين نماذج تجنيد الإرهابيين، وصور أخرى من استغلال الأطفال، مثل أساليب الاستمالة التي يستخدمها المتحرِّشون جنسيًا.

ويتضمَّن الخوضُ في التأثير النفسي للعنف مراجعةً لأدبيات آثار الهجَمات الإرهابية في الضحايا من أطفال وبالغين، مما أدَّى إلى تسليط الضوء على الضحايا بدلًا من الجناة والمشاركين في الإرهاب (طوعًا أو كَرهًا). ويكشف المؤلفان عن التأثير النفسي للعنف في الناس عمومًا، سواءٌ أكانوا على عَلاقة بالعنف الإرهابي أم لا. فهذا البحثُ أشبه بإعلام مهم بأهمية العَلاقة بين علم النفس والعنف؛ من أجل فهم أفضَلَ للموضوع.

وأخيرًا تجدر الإشارة إلى أن الكتاب أوضَحَ الأمور التي يتفرَّد بها تنظيم داعش، والأمور التي ليست حِكرًا عليه، أي: الأمور التي تخصُّ سائر المنظمات والجماعات الإرهابية، من ذلك مثلًا ما استعرضه من بيان السياق التاريخي لمفهوم الشهادة والاستشهاد لدى مختلِف الديانات والثقافات. وتصدَّى المؤلفان للمفاهيم الاستشراقية أو الجوهرية الخاطئة المحتمَلة عن الإسلام. وإن التطرقَ إلى طرائق انتشار وسائل التجنيد والدعاية الفكرية المتطرفة يذكِّر القرَّاء بأن هذه الأساليبَ ليست مقصورةً على عقيدة فكرية أو جماعة محدَّدة. ويؤكِّد أن دراسات الحالة المتنوعة مشتركةٌ في حُسبان كلِّ الجماعات المتطرفة العنيفة تسعى إلى الترويج للعنف والكراهية.

ومن المتوقَّع أن يخرجَ قرَّاء هذا الكتاب المهتمُّون بقضية تجنيد الأطفال بفهم أعمقَ للموضوعات ذات الصِّلة، وهي تجنيدُ الإرهابيين، والدعاية المتطرفة، والشباب والتطرف، والآثار النفسية للعنف في الأطفال، وإعادة تأهيل القاصرين، وسياسة الإعادة إلى الوطن، وعَلاقة ذلك بتنظيم داعش الإرهابي، والديناميات الاجتماعية لهذا التنظيم.

ويقدِّم الكتاب مقترحات لموضوعات تُسهم في تطوير البحث، مثل: "نوع التدريب الذي يتلقَّاه الأطفال لدى داعش"، وأنماط الاشتباك التي يعيشها الأطفالُ في ساحة المعركة، والعَلاقة بين الفقر وتجنيد الجماعات الإرهابية للأطفال في المناطق المحاصرة اقتصاديًا، ومدَّة شغل الأطفال لوظيفة ما في المنظمة، ونظرة المجنَّدين المستقبليين والمجنَّدين الذين هم في طَور التدريب إلى المجنَّدين على الأرض والانتحاريين، وأخيرًا الآثار طويلة الأمد للانخراط في الأنشطة العنيفة وتأثيرها في الأطفال.

إنَّ كتاب (أسلحة صغيرة) باختصار هو نقطة انطلاق للباحثين الساعين إلى معالجة الفجَوات المعرفية التي ذكرها المؤلفان. وهو موجَّهٌ أساسًا إلى العاملين في مجالات إعادة التأهيل والدمج والخِدَمات الاجتماعية، فهو بحثٌ شامل يتضمَّن اقتراحَ سياسات هادفة وبنَّاءة.

ويجد صانعو السياسات في الكتاب موردًا ثريًا يمكن الاعتمادُ على بحوثه في معالجة القضايا المعقَّدة المتعلِّقة بإعادة التوطين.

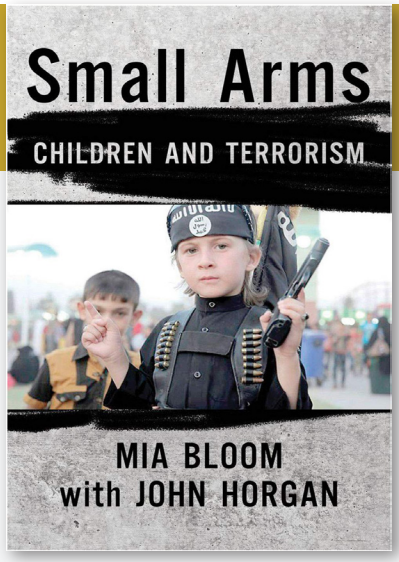

أسلحة صغيرة

الأطفال والإرهاب

الناشر: مطبعة جامعة كورنيل

15 مايو 2019

ISBN-10: 0801453887
ISBN-13: 978-0801453885

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION